قصيدتان

بشرى البستاني

(١)

أرقصُ طولَ اللّيلةِ وحدي
أنزفُ
تطلعُ في دميَ الأشجارْ
وتدورُ معي . .
تتدلّىٰ ثمراً مُرّاً . .
تنزفُ،
في آخرةِ اللّيلِ ندوخُ معاً . .
ونولّي الأدبارْ . .

(٢)

أبصرُ في منتصف اللّيلِ،
البحرَ يجيء لشرفةِ بيتي،
وأرىٰ الأمواجْ
تنداح على غرفةِ نومي
أفتحُ شبّاكي،
وأرى السّمكَ الميّتَ يطفو،
والتُّجّارَ يلمُّونَ الجثثَ المنخورةَ
يفزعُ واحدهم منّي . .

يعطيني واحدةً . .
عشرا
أرفضُ . .
أضحكُ في السِّرّ،
وأُقفلُ نافذتي . .
في اليومِ التّالي
أشري واحدةً من رأسِ الشّارعِ،
ثمَّ أُواصلُ سيريَ . . الموصل

أعرف من قال: حتّى الأشرار يجب ألاّ يعانوا معاناة شديدة. . وبطلنا لم يكن شرّيراً. أليس كذلك يا سيّد مصعب؟؟

ـ هم م م م م . . .

كان يغمغم ويمضغ، ويتبلّغ بلقمات متتالية. .

ـ السيّد مصعب.

ـ نعم. . . نعم. . أستاذ واثق.

ـ تُرى إلى أيّ شيء تُعزى تلك القسوة في معاملة إنسان؟؟.

ـ لا أعرف. .

ـ ألا تعتقد أنّ بعض الحكومات عندما تتعامل مع الإنسان بتلك الطريقة، تكون مثل المصاب بالإحباط؟

ـ إحباط! . . إحباط؟

ـ نعم إحباط. . .

ـ ماذا يعمل المصاب بالإحباط؟

ـ يسلك سلوك المنبوذ. .

ـ المنبوذ؟ . . . حسناً. . ماذا يفعل المنبوذ؟

كان السيّد مصعب يأكل بشهيّة غريبة، وبعجلة لا مبرّر لها، بينما كنت أنا ووالدتي نستمع إلى والدي بانتباه لاهب. .

ـ المنبوذ يا سيّد مصعب يفشل في تحقيق ما يقوله. وبعدَه، وكتعويض عن فشله، يقوم بأفعال مجنونة. . .

ـ مجنونة!؟ كيف؟

ـ حسناً. . طريقة التعذيب في الرّواية كانت تعويضاً عن الفشل. . إنّه ليس مجرّد خوف من إنسان واحد. . . لا لا. . . إنّه الإحباط ككل.

ـ حسناً. . . أستاذ واثق، لم لا تقول مثلاً، إنّ معاملة بطل الرّواية بتلك الطريقة الوحشيّة في الرّواية كانت بالنّسبة إلى الحكومة حقيقة، بل حقائق؟

ـ ماذا؟؟ . . حقائق؟

ـ حقائق بالنّسبة لها. . .

ـ دفعُ إنسانٍ إلى مصيرٍ قاس حقائق؟. . . لا. . أنا أرى أنّها عندما تفعل ذلك تخشى من لاحقيقتها. . . ومع اللاّحقيقة يبدأ الإحباط. . والخوف. .

انتهينا من شرب الشّاي، وتكلّمنا في مواضيع عامّة. سمعنا صهيل بوق سيّارة الإسعاف، وتواشيح دينيّة، وضرباً مستمرّاً على الدفوف حملتها موجاتٌ من الهواء من بيت جار على مبعدة أمتار يقيمون احتفالاً لأمنية تحقّقت. قال والدي بصوت دافئ، وهو يستمع إلى ضربات الدّف، والنّاس وهم يتغنّون بحبّ النبيّ: إنّ النّاس لديهم طرق كثيرة للنزول إلى أعماقهم، وتنشيط روحهم. . . الحبّ يستطيع أن يعمل كلّ شيء. . .

توقّفتْ سيّارةٌ أمام الباب. نهض السيّد مصعب وذهب بخطواته الواسعة إلى الممرّ قائلاً:

ـ أعتقد أنّ سيّارتي قد حَضَرت.

بعد دقائق عاد بوجه غاضب، نكد. وقال وهو يتنفّس بعمق، ومن غير ذرّة حياء، مخاطباً والدي:

ـ السيّد واثق شجاع العزّاوي، أنت مُعتقل. . . ويجب أن تأتي معي.

وببرود إنكليزي قدّم لوالدي هويّته الشّخصيّة، وقال: نعم يجب أن تأتي معي.

انتابَتْنا دهشةٌ أيبستنا جميعاً عندما اقتحم الغرفة عددٌ من الرّجال. رفع والدي رأسه وألقى نظرة طويلة وساخرة إلى وجه مصعب الذي خالطتْ لونه النّحاسيّ زرقةٌ قاتمة، وقال: لماذا يا سيّد مصعب؟

ـ المهمّ أنّك معتقل. . .

ـ السيّد مصعب، لا أعرف كيف خانتني فراستي فلم أكتشف وراء مظهرك المصطنع تلك العمليّة المقرفة. . .

وأضاف بكبرياء: تفضّل لنذهب. .

لم تنبس والدتي بهمسة واحدة، وكذلك أنا. . .

كركوك